Arab Forum For Alternatives
منتـــــدى البـــدائل العـــــربى

تقرير صادر عن منتدى البدائل العربي:

تحليل خطاب الرئيس الأمريكي باراك أوباما بجامعة القاهرة، ٤ يونيو ٢٠٠٩

فريق العمل:

د. عمرو الشوبكي
محمد العجاتي
جورج ثروت فهمي
نادين عبد الله
حبيبة محسن

3 Elshiekh Elmaraghy St.App.93 - Agoza - Cairo – Egypt
Tele-Fax: +202 -33359852
Email: info@afaegypt.org

٣ ش الشيخ المراغيي ـ شقة ٩٣ ـ العجوزة ـ القاهرة ـ مصر
تلي ـ فاكس : +٢٠٢ – ٣٣٣٥٩٨٥٢
البريد الالكتروني : info@afaegypt.org

www.afaegypt.org

بعد ثماني سنوات من العلاقات المتوترة بين الولايات المتحدة و العالم الإسلامي، في أعقاب اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر، و ما ترتب عليها من تحركات عسكرية، بدأتها الولايات المتحدة الأمريكية بالحرب على أفغانستان، و تلتها بالغزو العسكري للعراق، جاءت الانتخابات الرئاسية الأمريكية في نهاية العام الماضي برئيس جديد إلى البيت الابيض، باراك أوباما. وسط آمال عربية و إسلامية بتغير في السياسة الأمريكية تجاه العالمين العربي و الإسلامي، قام أوباما بزيارة في الرابع من يونيو ٢٠٠٩، و صفها كثيرون بالتاريخية، إلى مصر. ألقى خلالها خطابه إلى العالم الإسلامي من قاعة الاحتفالات التاريخية لجامعة القاهرة العريقة. و قد تناول خطاب الرئيس الأمريكي تسع نقاط رئيسة، و هي: العنف و التشدد، القضية الأفغانية، العراق، القضية الفلسطينية، أزمة البرنامج النووي الإيراني، قضايا الديمقراطية، التعددية الدينية، حقوق المرأة و التنمية الاقتصادية.

- **العنف و التشدد**

أعاد الرئيس الأمريكي باراك أوباما الاعتبار لقيم التسامح الموجودة في الإسلام، و اعتبرها جزءاً أساسياً من جهود إحلال السلام و محاربة العنف و التشدد في العالم. وأكد أوباما أن الولايات المتحدة ليست في حرب مع الإسلام، و لكنها في مواجهة مع متشددي تنظيم القاعدة الذين يلجأون إلى العنف و قتل الأبرياء. كما أعاد أوباما التذكير بأحداث الحادي عشر من سبتمبر، و بأن تنظيم القاعدة قتل ثلاثة آلاف من الأبرياء، مؤكداً أن وحشية القاعدة حقيقة لا جدال عليها، و أنها لم تستهدف فقط غير المسلمين، بل قتلت أيضاً الكثير من المسلمين الأبرياء. وفي هذا الصدد استشهد أوباما بالآية القرآنية:" **من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنّما قتل النّاس جميعاً ومن أحياها فكأنّما أحيا النّاس جميعاً**" (٥:٣٢)، مدللاً على أن سلوك القاعدة متعارض مع تعاليم القرآن.

- **أفغانستان**

أما عن القضية الأفغانية، فقد أكد أوباما أنه لا نية للولايات المتحدة الأمريكية لاستمرار بقاء قواتها في أفغانستان، لكنه –في ذات الوقت– أكد أيضا على ضرورة ضمان السلام و الاستقرار في أفغانستان و باكستان قبل

الانسحاب الكامل. كما أكد أوباما أن الولايات المتحدة لا تسعى إلى إنشاء قواعد عسكرية لها، و أن جميع القوات الأمريكية ستعود أدراجها، حينما تتأكد الولايات المتحدة أن العنف في طريقه إلى الانتهاء.

- **العراق**

أما فيما يتعلق بالحرب على العراق فقد أشار الرئيس الأمريكي ضمناً إلى أنها كانت اختياراً غير موفق. فعلى خلاف الحرب على أفغانستان، و التي كانت محل إجماع داخل الولايات المتحدة و مع حلفائها، فقد أثارت الحرب على العراق معارضة قوية داخل الولايات المتحدة و خارجها. في هذا الصدد، أكد أوباما على أن تجربة العراق أكدت للولايات المتحدة أن بناء تحالفات و استخدام الوسائل الدبلوماسية هي الأفضل لمعالجة مثل تلك الأزمات. كما أعاد أوباما التأكيد على أن الولايات المتحدة لا تنوى البقاء في العراق، و أن مهمتها في العراق تنقسم إلى شقين: الأول هو مساعدة العراق لصنع مستقبل أفضل، و الثاني هو ترك العراق للعراقيين؛ و في هذا الشأن أعلن أوباما أنه قد اتخذ القرار بسحب جميع القوات الأمريكية في العراق بحلول عام ٢٠١٢.

- **القضية الفلسطينية**

أكد أوباما في هذا الشأن على أن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية قوية و متجذرة، و غير قابلة للانكسار. كما أشار إلى حق اليهود في إقامة وطن قومي لهم. و أعاد التذكير بمأساة المحرقة اليهودية، و التي ذهب ضحيتها أكثر من ستة ملايين يهودي؛ و هو الرقم الذي يفوق، طبقاً لأوباما، عدد اليهود داخل إسرائيل. و فيما بدا و كأنه محاولة لخلق نوع من المقاربة بين المأساة الفلسطينية و اليهودية، أكد اوباما أن الولايات المتحدة لا يمكن لها أن تتجاهل معاناة الشعب الفلسطيني و نضالهم من أجل وطن قومي لهم، مشيراً إلى مأساة نزوح اللاجئين الفلسطينيين و الإهانات التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني يومياً في ظل الاحتلال. كما أكد أوباما أن الولايات المتحدة لن تدير ظهرها إلى حقوق الشعب الفلسطيني، و في مقدمتها حقهم في الحياة.

أعلن أوباما عن تمسكه بمبدأ الدولتين كأساس لحل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، مؤكداً أن للشعبين الفلسطيني والإسرائيلي حقوقاً مشروعة يجب احترامها، و أن الحل يكمن في إقامة دولتين تعيشان جنباً إلى جنب في أمن وسلام، فمثل هذا الحل يحقق المصلحة الفلسطينية و المصلحة الإسرائيلية و المصلحة الأمريكية أيضاً.

أعاد أوباما التأكيد على خارطة الطريق كأساس للتفاوض بين إسرائيل و الفلسطينيين، مؤكداً أنها تحمل مبادئ واضحة. كما أشار إلى أن استخدام المقاومة للعنف هو سلوك خاطئ لأن العنف يؤدى إلى طريق مسدود، فالأمريكيين من أصول أفريقية –بالرغم من العبودية و الظلم و القهر الذين تعرضوا له– لم يستعملوا العنف للمطالبة بحقوقهم المدنية، بل سلكوا طريق العمل السلمي؛ و كذا فعل شعب جنوب إفريقيا، و شعوب أخرى في آسيا و أوروبا الشرقية و في أندونيسيا.

من هذا المنطلق، فإن حماس عليها مسئوليات يجب أن تتحملها، أهمها العمل على توحيد الشعب الفلسطيني والاعتراف بالاتفاقات السابقة المُبرمة بين الجانبين الفلسطيني و الإسرائيلي، بالإضافة إلى الاعتراف بحق إسرائيل في الوجود. أما إطلاق القذائف على الأطفال، فهي ليست دليلا" على شجاعة أو قوة. في المقابل، أكد أوباما على أن للفلسطينيين حق في الوجود أيضاً، فالولايات المتحدة لا يمكن أن تقبل بالاستمرار في الاستيطان الإسرائيلي، كما أن تدهور الوضع الإنساني في غزة لا يخدم بأي حال من الأحوال أمن إسرائيل.

- **السلاح النووي (إيران)**

أعلن أوباما أن التوتر يغلب على العلاقات الإيرانية– الأمريكية، فقد قامت إيران بإثبات هويتها من خلال مناهضة الولايات المتحدة. كما أعترف أوباما بأن الولايات المتحدة قامت بالإطاحة بحكومة إيرانية منتخبة ديموقراطياً سابقاً، مضيفاً أن المهم ليس الماضي بل المستقبل وهو الذي يمكن لنا صناعته؛ فالولايات المتحدة مستعدة للمضي قدماً في ذلك، فهي مستعدة للنقاش والحوار مع إيران وبدون شروط مسبقة. فالمهم هو منع سباق التسلح النووي في منطقة الشرق الأوسط بحيث لا يكون السلاح النووي حكراً علي دولة دون غيرها لأن هذا يهدد

سلام المنطقة كلها، بل ولن يكون ذلك من حق أي دولة في العالم. فيجب علي إيران أن تلتزم بذلك أمام المجتمع الدولي وهذا لا يمنع حقها في حيازة الطاقة النووية السلمية.

- **الديمقراطية**

يعترف أوباما بوجود أصوات نادت بالترويج للديمقراطية، ولكنه يؤكد أنه لا يمكن لأي دولة أن تفرض نظاماً للحكم علي أية دولة أخري؛ و لكنه يؤكد في نفس الوقت أن هذا لا يقلل من التزام الولايات المتحدة تجاه الحكومات المنتخبة من شعوبها. ويؤكد أن جميع البشر يتشاركون في قيم عليا، منها أنهم يجب أن يعيشوا في ظل دولة القانون، في ظل العدالة، في ظل حكومات شفافة، بالإضافة إلى اختيار الطريقة التي يريدون أن يعيشوا بها؛ الأمر الذي تسانده الولايات المتحدة في جميع أنحاء العالم. فالحكومات التي تحمي هذه الحقوق وتحافظ عليها هي حكومات مستقرة، وهي الحكومات التي ترحب بها الولايات المتحدة. فالانتخابات التي لا تقوم علي أساس اختيار حكومات تحترم الأقليات ومصالح شعبها لا تخلق ديمقراطية حقيقية.

- **الحريات الدينية**

أكد أوباما أن للإسلام تاريخ طويل من التسامح الديني، خاصة في الأندلس. فالحرية في اختيار المعتقد هو عنصر رئيس في ازدهار الأديان. كما أكد أوباما على ضرورة احترام معتقدات الأقليات الدينية، مشيراً في ذلك إلى حقوق الأقباط في مصر و الموارنة في لبنان. كما أشار أوباما إلى الصراع الدائر بين الشيعة و السنة باعتباره مثالاً على عدم القبول بالآخر و معتقداته. و في هذا الصدد رفض أوباما الإجراءات التي تُتخذ لمنع أية جماعة دينية من ممارسة شعائرها، مؤكداً على حق المسلمات في ارتداء الحجاب، و حق المسلمين في إخراج الزكاة. كما رحب أوباما بالدور الريادي لتركيا في تفعيل حوار الحضارات.

- **حقوق المرأة:**

رفض أوباما أن تُعتبر المرأة التي تغطي شعرها أقل من غيرها، ولكنه في نفس الوقت يرفض أن تُحرم المرأة من التعليم. فحقوق المرأة هي أمر أساسي، والعديد من الدول الإسلامية كتركيا وبنجلاديش ع،رفت ذلك وقامت بانتخاب نساء في مناصب قيادية، فالمرأة يمكنها أن تساهم في تقدم البشرية مثلها مثل الرجال.. ولذلك ستدخل الولايات المتحدة مع الدول العربية في برامج للشراكة من أجل تمكين المرأة و تحقيق المساواة.

- **التنمية الاقتصادية:**

إن العولمة علي قدر ما كانت مفيدة علي قدر ما كان لها إضرار عدة، من خلال بث الإباحية و العنف. ففي كل العالم، يجلب التغيير الخوف؛ فالخوف من الحداثة هو أمر طبيعي لأن الحداثة يصاحبها الخوف من عدم المقدرة علي السيطرة علي الخيارات الاقتصادية وعلي الهويات. ولكن من ناحية أخري، لا يمكن أن نتخلى عن التقدم الإنساني، والذي يتحقق من خلال التنمية الاقتصادية؛ ولعل دول آسيا هي أبلغ شاهد علي ذلك. ومما لا شك فيه أن الابتكار والتعليم هي لغة القرن القادم، وهي أمور لا تتماشي مع وجود البطالة. و لذلك، ستركز الولايات المتحدة علي الاستثمار، كما ستقوم بإعطاء المنح الدراسية، و عقد شراكة مع العالم العربي في هذا المجال،كما أنه سيكون هناك صندوق عالمي لدعم التكنولوجيا في العالم الإسلامي، ومراكز للتثقيف العلمي في إفريقيا و مندوبون علميون بها، سيتم التعاون أيضاً مع منظمة المؤتمر الإسلامي فيما يتعلق بمحاربة مرض شلل الأطفال، والبرامج الأخرى المتعلقة بصحة الطفل. وبالتالي سيتم دعم المنظمات الأهلية لإتمام كل ذلك.

- **أولاً:- تحليل كمي للخطاب :**

من خلال تحليل الخطاب بواسطة أدوات التحليل الكمي، ركزنا على عدد من الكلمات أو المصطلحات الأساسية في تلك الملفات. و من خلال التحليل، حاولنا أن نرصد كثافة تكرارها في الخطاب المذكور. فعلى سبيل المثال، بالنسبة لقضية الديموقراطية، لم تشكل قضية مركزية أو محورية، فلم ترد في سياقه سوى خمس مرات فقط، و بمعني محايد في أغلب الأوقات (أي أثناء خلال حديثة عن حكومات منتخبة ديموقراطياً، أو كقيمة إيجابية لدى الولايات المتحدة). و في الملف ذاته، لم يتحدث عن قيم متعلقة بالديموقراطية مثل الشفافية و حقوق الإنسان سوى مرتان فقط، و في سياق أنهما تشكلان قيم عالمية تؤمن بهما الولايات المتحدة دون أن تسعى لفرضهما على أحد. و في هذا الإطار، لم يشر الخطاب إلى النظم السلطوية أو الديكتاتورية بأي شكل، كما لم يتحدث عن دور المجتمع المدني أو تداول السلطة أو أوضاع المعارضة.

أما بالنسبة لملف ثانٍ و هو الملف العراقي، أشار أوباما إلى الوجود الأمريكي الحالي في العراق بصفته "احتلالاً" مرة واحدة، و وردت بمعنى سلبي. و في مقابل ذلك، تحدث بكثافة عن "الانسحاب"، حيث ورد ذلك المصطلح حوالي خمس مرات في سياق حديثه. كما تحدث أيضاً –بشكل إيجابي– عن الحكومة العراقية المنتخبة ديموقراطياً مرتين.

بالنسبة لملف آخر مهم، و هو العلاقات مع العالم العربي و الإسلامي، فقد ذكر الخطاب بكثافة كلمة "مسلم" أو "إسلامي"، حيث وردت هذه المصطلحات حوالي ثلاث و أربعين مرة، منها أكثر من خمس عشرة مرة بمعنى إيجابي (أي الإشادة بإنجازات المسلمين و مساهماتهم العلمية على مدار التاريخ، أو حتى مساهمات المسلمين الإمريكيين في بناء الولايات المتحدة)، و مرتين فقط بمعنى سلبي (في إطار حديثه عن أن زمرة من المسلمين المتطرفين يستخدمون العنف و يسيئون لصورة الإسلام). في مقابل ذلك، لم ترد كلمة "العالم العربي" أو "الدول العربية" في الخطاب سوى أربع مرات فقط، و في سياق واحد هو الحديث عن ضرورة اشتراك الدول العربية في حل القضية الفلسطينية، و عدم اعتبار مبادرة السلام العربية نهاية للمطاف.

مصطلح آخر ذو دلالة في السياق ذاته، هو "الشرق الأوسط"، و الذي لم يُستخدم في الخطاب تقريباً سوى مرتين: مرة في إطار الحديث عن الملف النووي الإيراني الذي سيقود إلى سباق تسلح نووي في المنطقة، و مرة أخرى في إطار الحديث عن تعاون الولايات المتحدة في المجال التنمية التكنولوجية مع المراكز العلمية ذات الكفاءة في منطقة الشرق الأوسط.

بالإضافة إلى ذلك، لم يتحدث الخطاب تقريباً عن العلاقات الثنائية المصرية- الأمريكية، كما لم يشر إلى أي منظمات دولية أو إقليمية أخرى. كما لم يُشر إلى القواعد العسكرية الأمريكية إلا في مرة واحدة فقط عندما أعلن عن عدم رغبة الولايات المتحدة في إقامة قواعد عسكرية لها في أفغانستان.

أما بالنسبة لأحد أكثر الملفات أهمية و هو الملف الفلسطيني، فقد أشار الخطاب إلى "الفلسطينيين" حوالي تسع عشرة مرة، أشار في حوالي خمس منها إلى المعاناة التي يعيشها الفلسطينيون تحت الاحتلال و نيته في ألا تتخلى الولايات المتحدة عنهم، أما الأربع عشرة الباقيات فكان يؤكد فيهم على ضرورة الاعتراف المتبادل و العيش المشترك بين الإسرائيليين و الفلسطينيين. و لم يتحدث الخطاب عن إقامة دولة فلسطينية سوى في موضع واحد فقط. و في المقابل، تحدث أوباما بإيجابية عن إسرائيل في ستة مواضع، و في خمسة مواضع أخرى للتأكيد على ضرورة العيش المشترك و الاعتراف المتبادل. وأشار إلى الالتزامات المفروضة على إسرائيل (الوضع المتردي في غزة ...) في ثلاثة مواضع. في المقابل، تحدث أوباما عن اليهود في خمسة مواضع من خطابه، منهم مرة أشار فيها إلى الاعتراف الأمريكي بالآمال اليهودية في إقامة وطن لهم.

في الوقت ذاته، أشار الخطاب مرتين إلى قضية المستوطنات بشكل سلبي، معلناً ضرورة وقفها. و لكنه-في المقابل- أغفل قضايا أخرى عالقة و مهمة، مثل جدار الفصل العنصري، أو أوضاع اللاجئين أو حق العودة. أيضاً، في الوقت الذي أشار فيه الخطاب مرة واحدة إلى الاحتلال الإسرائيلي بشكل سلبي، أشار أيضاً مرة واحدة بشكل سلبي إلى المقاومة المسلحة. في الإطار ذاته، أشار الخطاب إلى حركة "حماس" مرتين، مرة بشكل محايد باعتبارها لها مؤيديها من الفلسطينيين، و مرة أخرى بشكل سلبي، لضرورة تتوقف عن العنف.

بالنسبة لقضية الإرهاب، من الملحوظ أن أوباما لم يستخدم لفظ "إرهاب" على الإطلاق في خطابه، و إنما استخدم مرادفات أخرى له بكثافة مثل "التطرف"، و التي وردت في متن الخطاب إحدى عشرة مرة، و "العنف"، و التي

وردت حوالي ست عشرة مرة. كما لم يشر إلى العمليات الانتحارية أو الاستشهادية سوى مرتين فقط. و أشار إلى أحداث ١١ سبتمبر في ثلاثة مواضع.

أما فيما يخص الملف النووي الإيراني، فقد أشار الخطاب إلى "السلاح النووي" حوالي خمس مرات. و أشار مرة واحدة فقط إلى الوسيلة الدبلوماسية، و لم يُشر مطلقاً إلى فرض عقوبات على إيران، لا بالمعنى الاقتصادي و لا العسكري. و هو ما يعكس استعداد إدارة "أوباما" إلى الحوار و التفاوض مع إيران، على العكس تماماً من موقف الذي طرحته إدارة "بوش".

أشار أوباما أيضاً إلى ملفات أخرى مهمة، و هما ملفا التنمية و الحرية الدينية. بالنسبة للأول، تحدث الخطاب عن "العولمة" في موضعين، للحديث عن تأثيراتها على الاقتصاد و الثقافة. و أورد لفظ "التنمية" حوالي ست مرات في نص خطابه. كما أشار للتعليم في ست مواضع أخرى من خطابه، و لكنه لم يُشر مطلقاً إلى "الإصلاح".

أخيراً، بالنسبة لملف الحريات الدينية، استخدم الخطاب لفظ "حريات" حوالي خمس مرات، كما أورد في نصه إشارة في موضع واحد إلى الطوائف الدينية مثل: الأقباط في مصر، الموارنة في لبنان، و السنة و الشيعة.

- **ثانياً:- طبيعة الخطاب:**

يمكن أن نحلل خطاب الرئيس الأمريكي بارك أوباما من حيث طبيعته من خلال ثلاث محاور أساسية بدت واضحة فيه وهي الواقعية، و البعد الديني، و العبارات التسامحية. أما عن واقعية الخطاب فقد قام الرئيس الأمريكي منذ اللحظة الأولى بتوضيح أن الخطاب في ذاته لا يحل المشاكل، وعلى هذا الأساس جاء الخطاب كتحديد موقف في القضايا التي تناولها الخطاب، وهي: التشدد والعنف، العراق، فلسطين، الملف النووي و إيران، الديمقراطية، الحرية الدينية، حقوق المرأة، التنمية الاقتصادية.

و إن كان التحليل سيتطرق للثابت والمتغير في الخطاب عن سابقيه إلا أنه يجب التنبه إلى كثرة استخدام ألفاظ من نوعية: إنما، و لكن، وفي القابل؛ وهي ألفاظ تستخدم في الخطاب لخلق حالة من التوازن. وقد كثر استخدامها خاصةً فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، والمقارنة بين الفلسطينيين والإسرائيليين سواء من ناحية الحقوق أو

المعاناة. وكأنه يحاول خلق توازن غير موجود في الواقع: فالواقع على الأرض غير متوازن في مختلف القضايا، ومحاولة خلقه على مستوى الخطاب لا يغيره، بل إنه قد يكسبه مشروعية و يرسخ الوضع القائم.

لكن اللافت للنظر بشكل كبير هو الكم الكبير من الإشارات الدينية، سواء بعبارات من الكتب المقدسة –والقرآن تحديداً– إلى عبارات من نوعية "أبناء الله"، كبديل للفظ الإنسان أو البشر أو المواطن. وهو ما يحمل دلالات بالغة الخطورة على هذه المفاهيم، ويعيدنا للتعامل على أساس الحضارات المبنية على الأديان، التي قدمها صموئيل هنتجتون في نظريته عن صراع الحضارات. و إن كان الرئيس أوباما قد نفي فكرة الصراع بين الحضارات، و أشار إلى مد جسور الشراكة و التعاون فيما بينها، إلا أنه استند على ذات المفهوم الذي يختزل الهوية على أساس الدين، حتى أنه لم يأتِ في خطابه أي ذكر لمؤسسة دولية أو إقليمية إلا منظمة المؤتمر الإسلامي، و أطروحة تعاون الولايات المتحدة معها.

كما جاء بالخطاب مجموعة من العبارات العامة، والتي استهدفت محاولة إعادة بناء جسور الثقة بين المسلمين والولايات المتحدة، مثل التأكيد على أن الولايات المتحدة ليست ضد الإسلام، وهي عبارة مكررة منذ اللحظة الأولى لما سُمي بالحرب على الإرهاب. بالإضافة إلى الحديث عن العدل والكرامة، أو ضرورة الخروج من الماضي؛ الذي أرجع مشاكله لعوامل تاريخية في بداية التحليل، محملاً القوى الاستعمارية القديمة المسئولية – بشكل غير مباشر– ومتجاهلاً الممارسات الحديثة وأثرها على تشويه العلاقة، والتي تتحمل الولايات المتحدة الجزء الأكبر منها.

- **ثالثاً:- الجديد في الخطاب:**

احتوى الخطاب على تغيير في أسلوب وطريقة تأسيس العلاقة بين المنطقة والولايات المتحدة، إذ جاء خارج الثنائيات التي حملتها خطب الإدارة الأمريكية السابقة، مثل: الاعتدال والتطرف، معنا وضدنا... إلخ؛ وانتقال إلى مفاهيم من نوعية التعاون والشراكة. و لم يستخدم طوال الخطاب لفظ الإرهاب terrorism ، بل استخدم بدلاً منها ألفاظ مثل العنف و التطرف violence and extrmism. و فيما بدا و كأنه اعتذار عن سلوك الولايات المتحدة في مرحلة ما بعد الحادي عشر من سبتمبر، قال أوباما أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر -والتي كانت مصدرا لألم كبير للشعب الأمريكي- أدت بالولايات المتحدة في السابق إلى انتهاج مسلك يخالف القيم والمبادئ الأمريكية، مضيفاً أنه قد أصدر قراراً بإغلاق معتقل جوانتانمو بحلول العام القادم، كما أنه قد منع نهائياً استخدام وسائل التعذيب. كما حمل الخطاب حسماً وضخاً لموضوعات مهمة، أهمها: نفي نية إقامة قواعد عسكرية في أفغانستان والعراق، والتأكيد على وحدة العراق وسيادته.

كما كان أبرز ما جاء في سياق القضية الفلسطينية ، هو عدم الحديث إطلاقاً عن حماس باعتبارها منظمة إرهابية، على عكس الإدارة السابقة، بل تحدث عنها باعتبارها مكون أساسي من الشعب الفلسطيني ولكن لديه التزامات دولية. إلا أنه -وفي نفس السياق وللمرة الأولى- استخدم لفظ المقاومة وربطها بالعنف و أدانها، وذلك بدلاً من أن يطلق عليها لفظ الإرهاب المعتاد استخدامه في هذا المجال، وأدان هنا المفهوم ذاته مستشهداً بجنوب إفريقيا، و نضال الأمريكيين من أصل إفريقي في الولايات المتحدة، متجاوزاً اختلاف الظروف والأوضاع القائمة، متجاهلاً أن المقاومة -على مر التاريخ وفي سياقات مختلفة و حتى في الحالات التي ذكرها- استخدمت العنف المشروع للضغط وتحقيق المكاسب، وخاصة المقاومة التي تواجه قوة احتلال.. وفي المقابل، إذا كان الخطاب قد تطرق للمعانة اليهودية والفلسطينية بشكل متوازن، إلا أنه قد حمل المقاومة -بشكل واضح- مسئولية معاناة الإسرائيليين، بينما -فيما يخص معناه اللاجئين والنازحين الفلسطينيين- فذكر الخطاب على استحياء الاحتلال ولم يحمل إسرائيل مسئوليتها في هذا المجال، رغم أنه أشار إلى رفض المستوطنات، ومسئوليتها عن معاناة الفلسطينيين.

على مستوى قضية الديمقراطية فقد شهد تغييراً كبيراً عن خطاب إدارة بوش، والتي كانت الديمقراطية تأخذ فيها صبغة إيديولوجية تبشيرية، فقد جاء حديث أوباما عنها علي أساس أنها قيمة يسعى جميع البشر إلي تحقيقها ولا حاجة للولايات المتحدة لنشرها. وبعكس إدارة بوش التي أخذت علي عاتقها الترويج لها، أوضح أوباما أنه يساندها لأنها قيمة عليا، ولكن خطابه يؤكد أنه لن يتدخل أبداً لتحقيقها : *"لا يمكن لأي دولة أن تفرض نظاماً للحكم علي أية دولة أخرى"*؛ و هو أمر مريح نوعاً ما للنظم العربية الاستبدادية، فخطاب أوباما يمثل دعماً معنوياً للديمقراطية. ولكنه كذلك تراجع في دعم عمليات "الإصلاح"، وهي الكلمة التي غابت عن نص الخطاب. و في الواقع، انتقل الخطاب بالإصلاح وقضايا مثل حقوق المرأة من مفهوم حقوقي إلى منهج تنموي، يقوم على محو الأمية والقروض الصغيرة. وهنا، ركز على الإسلام بشكله المظهري، فجاءت قضية الحجاب كقضية محورية تناولها عدة مرات، وكأن الإسلام هو الحجاب والزكاة والتسامح تجاههم، وليس مجتمعات وشعوب ومواطنين لهم حقوق يجب العمل على ترسيخها. كما أنه مر مروراً سريعاً وغير مدقق على موضوع الأقليات في المنطقة.

- **رابعاً:- الثابت في الخطاب:-**

تكرار ١١ سبتمبر في أكثر من مقطع من الخطاب هو تأكيد على هاجس مازال يعيش في الوجدان الأمريكي، واستخدامه لتبرير سياسات أو تأكيد ضرورات أمنية ليس بجديد؛ وجاء شبيهاً إلى حد بعيد بالخطاب الذي كان سائداً في عهد الإدارة السابقة. لكنه حدد المسئولية بوضوح عن تلك الأحداث، و قصرها على القاعدة دون باقي التنظيمات الدينية -على عكس الخطاب السابق- مما أخرج المسلمون من دائرة المسئولية عن الإرهاب.

كما أن الموقف الكلي من قضية فلسطين لم يتغير بدءاً من الحديث عن خارطة الطريق، و حل الدولتين وحق الفلسطينيين في العيش بكرامة، إلى إدانة إنشاء مستوطنات دون الإشارة لوضعية المستوطنات القائمة، كذلك غياب الحديث عن الحق الفلسطيني في القدس أو حق العودة، مع التأكيد بشكل واضح على حقوق إسرائيل.

أما الحديث عن الملف النووي و إيران، فلم يشهد تغيراً كبيراً على مستوى المضمون، عدا التغير الذي طرأ منذ دخول الرئيس الجديد إلي البيت الأبيض بانتهاج المسلك الدبلوماسي لحل الأزمة، أما حق إيران في امتلاك طاقة

نووية لأغراض سلمية أو الحديث عن خطر السلاح النووي في المنطقة مع إغفال السلاح النووي الإسرائيلي، فهو ذاته الخطاب منذ بداية الأزمة.

أما عن العراق، فرغم الإقرار بأنها حرب اختارتها الولايات المتحدة، فأنه كان هناك تنصلاً واضحاً من المسئوليات عما صاحب هذه الحرب من أضرار بالشعب العراقي، بل و التأكيد على أن الأوضاع في العراق تعد أفضل مما كانت عليه في العهد السابق، وهو ما يعد كذلك نفس الخطاب الذي ظهر في نهاية عهد جورج بوش.

وهو نفس التنصل من المسئولية عندما تحدث عن التنمية الاقتصادية، و إغفال الأزمة الاقتصادية العالمية و تأثيراتها، والتي كان لسياسات الولايات المتحدة الأمريكية دوراً أساسياً فيها.

- **الخلاصة:**

قدم الرئيس "باراك أوباما" خطاباً منفتحاً وتصالحياً تجاه العالم العربي والإسلامي، يمكن تقسيمه إلي بعدين رئيسين:

الأول– هو البعد الثقافي والقيمي، والذي تحدث فيه باحترام شديد إلي الإسلام والمسلمين، واعتبر تعاليم الإسلام جزءاً من تعاليم العالم الحر والديمقراطي، تحض على التسامح وترفض العنف والإرهاب.

وجاء استخدام أوباما لكثير من آيات القرآن الكريم والمصطلحات الدينية كمحاولة لتقديم "معكوس" رسالة بوش الدينية، الذي تحدث عن الحرب الصليبية واستخدم لغة استعلائية تجاه العالم العربي والإسلامي، فإن أوباما أبدى احتراماً ملفتاً للإسلام ولمبادئه وقيمه، واعتزازاً بالمسلمين دورهم في بناء الولايات المتحدة نفسها.

الثاني ــ وهو الجانب السياسي، وهنا كان الخطاب عاماً وأحياناً مكرراً. فقد أكد على حق الشعب الفلسطيني في بناء دولته المستقلة، وعلى حماية أمن إسرائيل، ورفض الاستيطان، و" العنف الفلسطيني"؛ لكنه ظل حريصاً على البقاء في العموميات حتى يمكنه التأثير في عموم الرأي العام داخل العالم الإسلامي، وابتعد قدر الإمكان عن التفاصيل التي ستحمل في جانب كبير منها إدانة ليس فقط لسياسات الاحتلال الإسرائيلي، و إنما أيضاً للأوضاع العربية والفلسطينية، التي تشهد جموداً سياسياً وانقساماً داخلياً وصل إلي حد الاقتتال الداخلي، كما هو حادث في فلسطين.

و المؤكد أن هذا الخطاب كان سيفقد جانباً كبيراً من بريقه وتأثيره المعنوي والنفسي في حال إذا ما قدم أوباما آليات عمل لحل المشكلات العالقة، أو –بعبارة أخرى– خريطة طريق ثانية للشرق الأوسط. ولذا كان حريصاً على البقاء في إطار القيم العامة والرسالة الثقافية والحضارية الجديدة تجاه العالم العربي والإسلامي بصورة أثرت في مشاعر الكثيرين.